النهار
الأحد ١٥ حزيران ٢٠٠٣

هل مفتاح الآثار يكمن بالتنقيب عن الانسان أو في الانسان نفسه؟!

ناصر نويهض

هل أتاك يوماً موقع أثري فأعاد اليك ذكريات الماضي المنسية وكأنك تشاهد فيلماً على شاشة الذاكرة او كمن يصحو من حلم كاشف؟ ما هو تأثير تلك اللحظات الغامضة عليك، كالحلم عند الاستيقاظ مثلاً؟ وهل تحاول تفادي نسيانها فتقوم بتدوينها على الاثر؟ هل سبق ان تفاعلت نفسك عند استماعك الى قطعة موسيقية معينة ملهمة تتهادى انغامها عبر الاثير؟ او ربما بكل بساطة لدى إصغائك الى حكمة مأثورة؟!

أثر ذو أثير...

يقال عند العرب: "هو صديقي الأثير"، او "هو أثيري" اي صديقي المفضل! كما تتحدث بعض الجماعات (بلغة الاساطير) عند وصفها لذلك "السيف المأثور"...! هنا لا بد من التوقف قليلاً للتذكير بما ورد في بعض المعاجم العربية حول تفسير كلمة (أثر، كجذر لغوي) وبعض من مشتقاتها المتداولة. فالاثر يقال ان له اربعة معان: النتيجة وهي الحاصل من الشيء، والعلامة، والخبر، وما يترتب على الشيء او ما بقي منه. فيأتي علم الآثار اليوم "ليفسر الماضي بواسطة البقايا التي خلفها الانسان باحثاً في بقايا العمران ودلالتها والمخلفات الاثرية القديمة. اما الاثير: فهو في الكيمياء، سائل لا لون له، طيار سريع الالتهاب يستخدم في الطب. في الطبيعة، الأثير مادة لا تقع تحت الوزن تتخلل الاجسام ويكون امتداد الصوت والحرارة الكهربائية بواسطة تماوجاتها. اما عند الاقدمين فالأثير: هو الفلك التاسع...!

فما هي حقيقة تلك الافلاك الاخرى؟

ألم تسمعوا عظماء الموسيقيين يتحدثون عن "موسيقى الافلاك" الاثيرية؟

أليس الانسان نفسه "معزوفة خالدة" في تلك القيثارة الكونية! فهل من آذان تسمع؟!

ومن التراب الى التراث نعودا...

فهل هناك من علاقة واضحة تربط ما بين "التـــــراب – الارض" و"الاثر – الارث – التراث")؟ ألسنا نرث ما زرعناه بأنفسنا على الارض سابقاً... فقد صرنا اليوم نعلم ان كل آثر للانسان مهما يكن (على ما يحويه من قيمة علمية ومعنوية) هو إرث للانسانية جمعاء او ما بتنا ندعوه التراث العالمي. اذ ان آثار الانســـان المادية (كـــالنصب الاثرية الضخمة، او النقوش الصغيرة المحفورة في الصخور، او المشاهد المرسومة على جدران المغاور... الخ) تعود الى بضعة آلاف من السنين، مع ان بعضها يمتد الى ما قبل التاريخ المدون الذي نعرفه حتى الآن. لا ريب في ان دراسة الآثار المكتشفة قدمت للبشرية كنزاً هائلاً من المعلومات القيّمة عن تاريخ تلك الحضارات المندثرة، لكن رغم ذلك تبقى مجتمعة وعلى أهميتها البالغة بمثابة النقطة في البحر، او كقمة جبل الجليد الذي يخفي أكثر بكثير مما نراه عند التنقيب في الاعماق. هذا اذا ما قورنت تلك المعلومات بالعمر الحقيقي للانسان على الارض وبما يكون قد تركه من أثر عميق في مختلف نواحي الحياة المادية والنفسية والعقلية والروحية على مر العصور.

إن منهجية التأريخ القائمة على علم الآثار التقليدي قد باءت بالفشل... وتحديداً في حل الغاز مادية مكتشفة لم يستطع العلم فهمها الى اليوم. فقد تم اكتشاف العديد من الآثار الغامضة (غامضة للعلم المادي فقط كونها لا تندرج في مراحل وحقبات ما قبل التاريخ الذي صنّفه العلم نفسه) وتالياً فإن علم الآثار الحالي يصنفها كمكتشفات خارج مكانها او كما يدعوها البعض بالانكليزية Out-of-place artifacts وهي تشير بوضوح الى وجود سابق لحضارات متقدمة علمياً وتكنولوجياً على كل ما نعرفه حتى اليوم. ولعل دراسة تلك الآثار (الغريبة حتى الآن) بعمق وموضوعية سيؤكد لاحقاً للعلم الاكاديمي بما لا يقبل الشك حقيقة ما ذكر في ميتولوجيا الازمنة واساطير الشعوب ان التاريخ لا يسير في خط احادي فقط Linear كما يظن العلم اليوم، بل يسير في دورات تزامنية Cyclic كما سنبيّن لاحقاً.

نستعرض الآن بعض ما تيسّر ترجمته من هذه الآثار (*) المهمة، علماً ان الكثير غيرها اكتشف ويكتشف في بلدان اخرى يضيق المجال لحصرها جميعاً هنا:

١– Baffling Batteries of Babylon، هي جرار واكواب فخارية (يتخللها النحاس ومـواد اخـرى) يمكنهـا انتـاج كـهـرباء كـ"البطاريات الكهربائية" وقد عثر عليها في مواقع اثرية في العراق يعود بعضها الى الفـتـرة الفـارسـيـة بين (٢٤٨ ق.م. و٢٢٦ ب.م.) والبعض الآخر منها يعود الى المرحلة السومرية (٢٥٠٠ ق.م.) وهي محفوظة اليوم في متحف بغداد بعدما أثارت اهتمام علماء كثر قاموا بدراستها مطولاً. (الصورة ١).

٢– The Incredible Stone of Dr. Cabrera، مجموعة من حوالى عشرين ألف قطعة من الالواح الحجرية الصغيرة معظمها من الغرانيت البركاني الصلب الذي يصعب الحفر عليه. يملك هذه المجموعة أحد الاطباء في البيرو. تتميز القطع بكونها مزدانة بمزيج من المشاهد الغريبة اذ يعود اكتشاف بعضها الى العام ١٥٢٥ من جانب البعثات الاسبانية في البـيـرو، وهي تظـهـر مـعـالـجـات طـبـيـة وجراحية معقدة كنقل الدم والتخدير بوخز الابر وعـمـلـيـات جـراحـيـة في الرئة والكلى والقلب وعملية زرع للقلب... كذلك رسوم محـفـورة لعـمـلـيـة غـريـبـة فـعـلاً تبدو كزرع للدماغ! (الصورة ٢).

٣– The Strange Electron Tubes From Dendera، مشاهد تصويرية غريبة موجودة داخل معبد قديم في دندرة (مصر). فعلى بعض جدرانه في الغرفة الرقم ١٧ تبدو رسوم لكهنة مصريين يقومون بتشغيل أنابيب "كهربائية" (شبيهة بتلك التي كانت تستخدم في جهاز التلفاز القديم) وتبدو تلك الانابيب موصولة عند اطرافها بواسطة شريط ما الى علبة كبيرة. وفي مشاهد اخرى عثر عليها داخل المحراب الاقدس للمعبد يبدو رجل ونساء يجلسون معاً تحت هذه الانابيب رافعين ايديهم بوضعية تشير الى تلقيهم طاقة معينة. (الصورة ٣).

٤– An out-of-Place Computer From Antikythera، بقايا لآلة خشبية – برونزية تحتوي على مجموعة دواليب "ميكانيكية" كتلك الموجودة في الساعات الحديثة. وقد عثر عليها غطاسون قرب شاطئ جزيرة يونانية عام ١٩٠٠ وأودعت حينها في المتحف الوطني في أثينا. وعند تفحصها مجدداً عام ١٩٥٨ من جانب علماء آثار لاعادة ترميمها تبين انها آلة قياس غريبة اذ يمكنها تحديد مواقع الشمس والقمر عبر الدواليب التي تتحرك الى الامام او الوراء بسهولة وبسرعات مختلفة... وكأن ذلك اشبه بنظام تكنولوجي متقدم لحساب المواقع الفلكية للكواكب في الحاضر والماضي والمستقبل. (الصورة ٤).

٥– Flight in Ancient Egypt، شيء خفيف غريب ذو اجنحة عثر عليه عام ١٨٩٨ في أحد القبور في شمال اهرام سقارة (مصر) ويعود تاريخه الى حوالى ٢٠٠ ق.م. وقد أودع حينها في متحف القاهرة تحت خانة (قطع مختلفة – غير مصنفة) اذ لم تكن الطائرات المعروفة اليوم قد ظهرت بعد في العالم. وبالفعل فبعد حوالى سبعين عاماً تبين لأحد علماء الآثار المصريين ان قطعة سقارة الصغيرة تلك (والتي تزن فقط حوالى ١٤ غراماً)، تحمل في تصميمها ما يشابه تماماً طائرات اليوم من ناحية انسيابية الاجنحة والذيل لجهة مقاومة الهواء. (الصورة ٥).

٦– A Jet from South America مجموعة قطع ذهبية اثرية (تلبس كقلادة حول العنق) تملكها الحكومة الكولومبية وتعود الى فترة ما بين ٥٠٠ و٨٠٠ ب.م اي فترة ما قبل حضارة الإنكا. وفي العام ١٩٦٩ عند دراسة قطعة مهمة من بين تلك المجموعة من جانب اختصاصيين اميركيين تبين انها تحمل رسما لا يشبه اياً من المخلوقات المعروفة آنذاك او اليوم، بل يبدو التصميم بتفاصيله الصغيرة يشبه الميكانيكي وكأن التصميم يخص الطائرات الحديثة بأجنحتها المثلثة والحادة... مع علامة مميزة على جوانبها لتبقى لغزا آخر (الصورة ٦).

٧– Crystal Skull from Atantis، جمجمة من الكريستال (قطعة واحدة فريدة من الكوارتز الصافي) بحجم يماثل رأس فتى مراهق وهي تحمل تفاصيل دقيقة جدا لجمجمة بشرية عادية. عثر على هذه القطعة الغامضة في العام ١٩٢٧ على رأس معبد مهدم لمدينة قديمة لشعب المايا في هندوراس البريطانية او بليز حاليا. والمهم في الامر انه وبعد دراستها بعناية في مختبرات علمية عدة من بينها - hewlitt Packard تبين انها حفرت على ما يبدو بطريقة تكنولوجية متقدمة جداً وغير معروفة اطلاقا. اذ لا يمكن العلم الحديث بكل امكاناته المتوافرة حاليا ان يقدم مثيلا لها (علما ان لا خدوش عليها)... وحتى لو حاولنا ان نقوم بالحفر المبهم ذلك بواسطة المعالجة المكررة بالمياه وكريستال السيليكون فانه قد يلزمنا نحو ٣٠٠ عام من العمل المتواصل عليها. وقد اعترف لاحقا احد علماء الكريستاليات بعجزه عن شرح علمي لهذه القطعة معلقا بقوله الغريب: ان تلك القطعة يجب الا تكون موجودة! (الصورة ٧).

***

ان ما ذكرناه حول هذه الدلائل البالغة الاهمية قد لا يعجب بعض العلماء التقليديين او المشككين من الناس. لكن لا بد لنا من تذكيرهم بها للتأكد بأنفسهم من حقيقة الامر. اذ يبدو واضحا ان علم الآثار اليوم بمنظاره المادي قد وصل فعلا الى حائط مسدود في تفسير هذا الموضوع المعقد والمبهم لديه! فهو لا يزال يتجاهل الناحية اللامنظورة والتي تشكل الاساس والمنطلق المادي والجواب الاكيد عن كل ما يتساءله العقل المنطقي في تحليله وربطه الامور بشموليتها. فرغم اعتراف العلم المادي بوجود هالة اثيرية تحيط كل الاشياء وتتخللها بعدما نجح بتصويرها العالم الروسي كيرليان في ستينات القرن الماضي، ظل البحث في منهجية علم الآثار قائما في نطاق المادة المنظورة فقط دون ربطها في سياقها الطبيعي اللامنظور، وبالتأكيد سيتمكن العلم لاحقا من فهم امور كثيرة لا تزال غامضة عليه عندما يربط الظواهر المادية بأساساتها اللامادية الخافية...

من جهة اخرى، وكمقاربة لغوية للموضوع عبر علم اشتقاق الكلام Etymoloty تأتي الكلمة الانكليزية Archaelogy او Ar-cheology التي تعني علم الآثار، مركبة من Arc + ae/e + ology Arch (الاول او الأساس في اللغة اليونانية ومشتقة من Ar-chaic بمعنى قديم) و ology مشتقة من اليونانية Logos بمعنى (علم/فن) اما ae او e الواردة في منتصف الكلمة، فقد نسبها الاقدمون الى اختصار عنصر الاثير AEther او Ether اي ان علم الآثار في حقيقات ما قبل التاريخ المكتوب هو علم آثار المادة الاولى المكونة لكل شيء Prima Materia اي مادة الأثير. وكأن هذا التفسير يشير ضمنا الى مفتاح اللغز في الكلمة نفسها...

طبعا علم الآثار الذي نعرفه اليوم لا علاقة له حاليا بدراسة مادة الاثير، خاصة وانها مادة امرئية وغير ملموسة بالنسبة الى الادوات المتوافرة لدى العلم الحالي رغم اقراره بوجود ذلك الحقل الاثيري الذي يتخلل بكل الاشياء ويحيط بها كطاقة كهرومغناطيسية. فهل اذا دُرست تلك المادة الاولية بعمق وانفتاح تأخذنا الى جذور التاريخ غير المكتوب... مثلما اخذتنا الخريطة الجينية الى حقائق انسانية خافية؟!

فلو اعدنا النظر الى المكان من حولنا بكل تجرد (ومن وجهة مادية بحتة) لتبين لنا بوضوح انه اثيري المنطلق ومكوّن من عناصر الطبيعة الاساسية وهي الارض – الماء – النار – الهواء – الاثير والاخير او "العنصر الخامس" كيان قد تطرق الى ذكره الحكماء وبعض الفلاسفة الاقدمين وهو ما سيكتشفه العلم مجددا لينطلق من ابعاد المادة الى اللامادة...

هذا العنصر الاثيري كان يعتبر لدى الفلاسفة الرواقيين العنصر الخامس، وهو في الحقيقة العنصر – الاساس او الجذر بالنسبة الى العناصر الاربعة التي يعرفها العلم اليوم، اذ كانت الشعوب الهندوسية والاغريقية القديمة تطلق تسمياتها للآلهة تبعا لدرجاتها المتعددة في طبقات الاثير السبع! فجوبيتير مثلا كان يدعى بالاثير العظيم pater omnipotens Aether او The Great Aether. والجدير ذكره عندهم ايضا ان "الاثير العلوي" كان يعتبر كأحد العناصر الكونية السبعة... كما تتحدث النصوص الهندية القديمة والمقدسة كالفيدا والاوبانشاد وغيرها عن الكون وعملية الخلق فتذكر كيفية تدارك الوجود من الاعالي... الى الاثير بدرجاته السبع ومن الاثير الى الهواء، ومن الهواء الى الحرارة او النار ومن النار الى الماء ومن الماء الى التراب مع كل ما يتواجد فيها على الارض!

اما اثر الانسان اللامادي بما يحتويه (من مشاعر وافكار وما علما...) فلن نتناوله هنا رغم انه يندرج في تكوين ذاكرة الانسان على انواعها. فكل حدث (مادي ولامادي) يسجل في ذاكرة الوعي الباطني للفرد وللجماعات على السواء والتي هي كل بدورها على اتصال دائم بالذاكرة الكونية – الذاكرة الام Akasha. فاذا تناولنا فقط الناحية المادية للاثر في كل ما وصلنا من شعوب تلك الحضارات القديمة عبر ما دونته بنفسها بوسائل متنوعة بدءا بالرموز والاشكال والعمران وصولا الى اللغة والكتابة... لتبين لنا بوضوح ان التاريخ المكتوب (ابعده ستة آلاف سنة الى الوراء حتى اليوم) هو كالطفل الصغير يقف حائرا وعاجزا تماما امام تلك المكتشفات الاثرية الغامضة وتاليا تفسير حقيقة وجود سابق لحضارات متقدمة مندثرة.

اما متى بدأ العلم ربط الظواهر المادية بأساساتها الاثيرية الباطنية عبر تقنيات "علم الذبذبة"... التي منها يتكون الاثير، فعندها سيتضح له حتما الكثير من الامور الغامضة (المنسية)... فالذاكرة الكونية (او الاكاشا كما تعرف في كتابات الشرق الاقصى) تشرحها علوم باطن الانسان – الايزوتيريك: "هي السجل الكوني الذي يحتفظ بتاريخ النظام الشمسي والاحداث الكونية واسرار الخليقة من بداية الخلق وحتى نهاية الوجود!.. فالاكاشا او ذاكرة الكون – ويدعوها بعضهم ذاكرة الاله – اشبه بمحيط لامتناهي الاطراف... كل قطرة فيه تمثل وعي انسان ما، تجسد على الارض او لم يتجسد بعد! فهي السجل الكوني الذي يحوي انجازات بشرية الماضي والحاضر وما ينتظر تحقيقه في المستقبل... انجازات كل شخص بمفرده ومدى تطوره او تخلفه، وانجازات الحضارات التي شهدتها الارض منذ نشوئها. كل ذلك واكثر بتفاصيل الحقيقة الساطعة التي لا تغفل شيئا، ولا يسهو عن بالها أمر ما!"... (**)

"الزمن وحدة"... و"المعرفة تذكّر"... مفاهيم عميقة ومترابطة، بالطبع لم استوعب ابعاد معانيها الا بعدما شرحها لي مطولا عالم آثار ايزوتيريكي فقد اثارني منطقه السامي للأمور ومعرفته المعمقة للانسان بأبعاده الكونية حتى تكاد تقول ان "سيفه يأثرك" بحقائقه القاطعة وببساطة العارفين الحكماء وتواضعهم!

فالاثير "مادة" اسرع من الضوء (في علم الذبذبة)! والجسم الاثيري (المالة الاثيرية) هو في تفاعل ذبذبي دائم ومباشر بالاثير وكل شيء على صلة وثيقة بما يحفظ في تلك الطبقة الخاصة بسجلات المعرفة الكونية – (الاكاشا) – الكائنة (اثيريا) في الطبقات العليا من الفضاء! وبالطبع لفهم علم الاثير وتاليا اي اثر (ومهما كان غامضا) لا بد من تلك المعرفة الداخلية العميقة لـ"علم الذبذبة" كجزء لا يتجزأ من علم الانسان الشامل... "فعالم الآثار الباطني ان صحت تسميته يبحث في رقائق وعيه الباطني... ينقب عن ماضيه لفهم الحاضر في ضوء المستقبل". هذا بعض من جملة حقائق خافية يكشف عنها الايزوتيريك – علم الوعي (يمكن مراجعة موقع الانترنت http:// www.Esoteric-Lebanon.org كونه معنيا بالانسان، بشموليته وبتطور وعيه على جميع الاصعدة).

"ان الحقيقة تكمن في داخل الانسان، ومن بحث عنها في نفسه وجدها. انها مجموعة اسرار وخفايا في النفس، من وجدها وجد كل شيء، انها مفاتيح في النفس والغازها من وجدها عرف نفسه، حقق ذاته، كشف الحقيقة ووجد المفاتيح التي تفتح باب المعرفة، وتاليا بوابة الكمال..."(***)

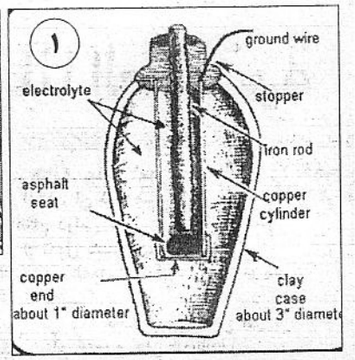

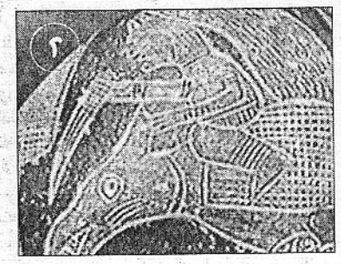

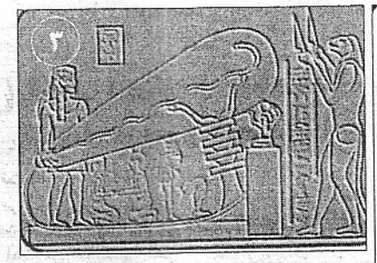

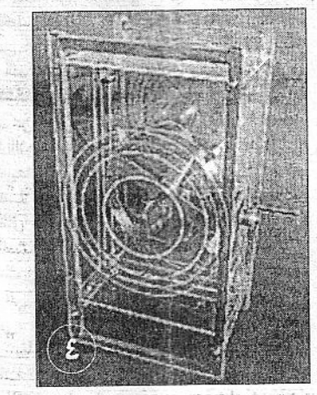

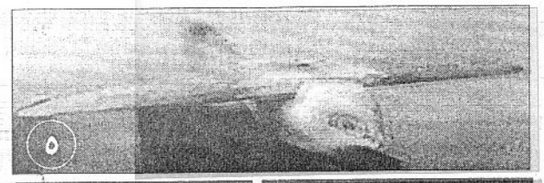

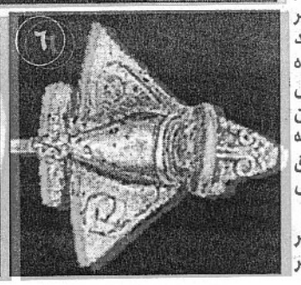

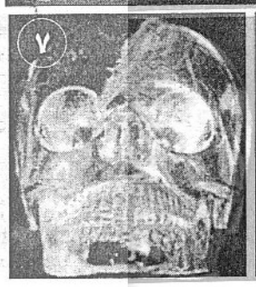

المصادر

Top Ten Out - of - place Artifacts (*) (O.O.P.S) Atlantis Rising Magazine: issue # 5 (1995).

(**) "تعرّف الى ذاكرتك" بقلم (ج ب م) سلسلة علوم الايزوتيريك – منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء، ١٩٩٨.

(***) "كتاب الانسان" بقلم مجموعة من المعلمين الحكماء، سلسلة علوم الايزوتيريك – منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء، (طبعة ٤) ١٩٨٨.

باحث